جلسة الشورى الأخيرة

لم يعلن أحد انها الأخيرة لكن أى قارئ جاد للأحداث كان يتوقع ذلك بنسبة كبيرة. فقد كان الطريق إلى المجلس مشحونا بسيارات محترقه وعربات أمن مركزى مدمرة وتسد الطريق، أنها رائحة لا تخطئها الانف التى تمتلك بعضا من الحساسية. القاعة تخيم عليها الكآبة رغم تظاهر البعض بالحيوية، وقيادات الوطنى تراكمت فى غرفة زعيم الاغلبية لتدخل القاعة معا وهى تتضاحك وكأن الجلسة واحدة من الجلسات العادية.

السيد صفوت الشريف اكثر تجهما عن ذى قبل ربما لأنه يعرف أكثر من غيره. اللواء رفعت مطاوع نائب الأمين العام والصديق الحميم للكثيرين يغمرهم دوما بابتسامة مشرقة وثلاجة مليئة دوما بالزبادى والرز بلبن يتناولها كل من يشاء كما يشاء، كان هذا اليوم

بلا ابتسامة فهو ليس ساذجا كالكثيرين، وحتى الساعي نسي او تناسى تعبئة الثلاجة.. والغرفة باختصار صامتة وكأنها في حالة وداع. المتجهم صفوت الشريف افتتح الجلسة لمناقشة "الوضع السياسي الراهن" أنا كنت مستعدا كتبت كلمتي على غير المعتاد، وطبعت منها عشرون نسخة وزعتها على الصحفيين المتراكمين في شرف الصحافة وكأنني كنت ادرك ان مناخ الجلسة لن يسمح لي بإكمال ما أعددت. تحدث زعيم الاغلبية.. ولا جديد الولاء للرئيس، الحزم مطلوب وبحث المشكلات سريعا.. وبعد أن ساد الملل من كلمات متشابهة حتى في طريقه الأداء ومن تكرار ذات الجمل التي ورثها الناصريون من قيادات منظمة الشباب ثم ظلوا يرددونها حتى أيام مبارك الاخيرة. مثل "ارادة الجماهير الشعبية تفرض علينا حماية مكتسابتها" ومثل "اقول بكل الصدق أن هؤلاء ليسوا معبرين عن ارادة الجماهير" إلخ وإذ تعلو سحابات الملل المصحوبة بخوف الكثيرين من مجرد أن يفتحوا فمهم فقد يكون.. أو قد لا يكون الصمت من ذهب. ولم يعد أمام رئيس الجلسة المتجهم إلا أن يلجأ إلى ممثلي الاحزاب الاخرى من امثال الجيل والتكافل والامة والاحرار.. إلخ وكانت كلماتهم ذات الصوت العالي تقول مثل ما سبق وإن بعبارات مختلفة واحيانا فيها هجوم على "شباب الميدان" واتهامات لهم.. وكان لابد للدور أن يأتي نحوي رغم أني طلبت الكلمة قبل الجميع. ولعل الاستاذ صفوت اراد بخبرته أن يربكني بعد أن نقل إليه الناقلون عبر ورقة تسللت

إليه خلال الجلسة بأننى وزعت على الصحفيين نص كلمة من عشرين صفحة من القطع الصغير.. فقال دون أن ينظر إلى القاعة مناديا اسمى مشفوعا بوعيد "الكلمة من الآن ثلاثة دقائق فقط. ووجدت نفسى اقول بصوت مرتفع ولكن هادئ "تكلمتم وحدكم ثلاثين عاما.. الآن اتكلم انا ثلاث دقائق. ثم قلت جملتين حملتا كل ما أردت.. "من الضرورى أن يقدم الأمين العام للحزب الوطنى نيابة عن الحزب اعتذاراً لجماهير الشعب على كل ما كان فى الماضى وأن يتقدم ببرنامج جديد يحقق العدل الاجتماعى ويقضى على الفساد ويستجيب لمطالب الميدان. ثم جملة اخرى أن نص الدستور يقول "يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ويمارسها" وبهذا يكون الرئيس مسئولا عما تولاه وعما مارسه عبر السلطة التنفيذية التي..... وعددت عشرات من الخطايا وعليه أن يتقدم للشعب باعتذار واضح ومحدد وهنا اعلن الرئيس الثلاث دقائق انتهت ونادى على متحدث آخر. وحملت أوراقى صامتا وأنا اعتقد تقريبا أننى لن اعود إلى هذه القاعة.

والمثير للدهشة أن عشرات الاعضاء والصحفيين والعاملين والسعاة قد هنأونى ومن بينهم اعضاء تكلموا فى ذات الجلسة نفاقا. أما اللواء رفعت فلم يقل وإنما وقف وقبلني.